قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّينَ دراسة نقديّة في موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير القرآن بالرأي

Reading The Qur'anic Text by The Modernists
A critical Study of Dr. Muhammad Shahrour's
Attitude About Interpreting the Qur'an by
opinion

الأستاذ الدكتور
ماهر جاسم الأُومريّ
Prof. Dr. Mahir Jassim Al-Omary

الكلمات المفتاحيّة: حداثة – نصّ – قراءة – ألفاظ – أساليب – تأويل – إلحادي

الملخص

يعدّ البحث في قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّين من الضرورات في الدراسات الشرعيّة والقرآنيّة، كما يعدّ ميداناً للكشف عن مكانة الشريعة الإسلاميّة في مواجهة التحديات المعاصرة، ومنها: تحديات الحداثة، وتحديّات إعادة قراءة النصّ القرآنيّ. وتتضح أهميّة البحث في تقييم موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير القرآن بالرأي، ونقده نقداً علميّاً؛ للخروج بنقاط مضيئة؛ لمواجهة تلك التحديات. للدكتور محمد شحرور موقف من تفسير الألفاظ القرآنيّة، وهو: عدم الالتزام بدلالتها اللغويّة، والتزييف والتدليس في دلالتها، وتنزيلها على مصطلحات حادثة، كالمصطلحات الفلسفيّة الماركسيّة والشيوعيّة المتعلّقة بنظرية (صراع المتناقضات) الباطلة. وله موقف من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة، وهو: الخطأ المتعمَّد في تفسيرها، وعدم الالتزام بقواعد اللغة والنحو والصرف في تفسيرها. كما له موقف من تأويل آيات القرآن الكريم، وهو: التأويل الباطنيّ الماركسيّ للمصطلحات القرآنيّة، والتأويل المادّيّ الإلحاديّ لها، والذي يعدّ من أصول الفكر المادّيّ الذي يتبناه وينصره.

Abstract

For modernists, research on reading the Qur'anic text is one of the necessities in legal and Qur'anic studies. It is also a field for exploring the status of Islamic law in facing contemporary challenges, including: the challenges of modernity, and the challenges of re-reading the Qur'anic text. The importance of research is demonstrated in evaluating Dr. Muhammad Shahrour's attitude about Al-Tafsīr bil-ra□y (the interpretation of Qur'an by mere opinion), and leveling academic criticism against him to come out with deep understandings that face those challenges. Dr. Muhammad Shahrour has an attitude about the interpretation of Qur'anic expressions, where he does not adhere to their linguistic senses, tries to falsify and fraudulently alter their significances, and relating them to modernist terms such as Marxist and communist philosophical terms related to the invalid (conflict of contradictions). He adopts an attitude towards interpreting the Quranic sentences and styles, where he deliberately interprets them incorrectly, overlooking grammar and morphology in their interpretation. He also has an attitude about the allegorical interpretation of the verses of the Noble Qur'an, he tends to use Marxist esoteric interpretation of Qur'anic terms and the materialistic atheistic interpretation of them, which is one of the foundations of the materialistic thought that he adopts and supports.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فيعدّ البحث في قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّين من الضرورات البارزة في الدراسات الشرعيّة والقرآنيّة، ويعدّ أيضاً ميداناً للكشف عن مكانة الشريعة الإسلاميّة في مواجهة التحديات المعاصرة، ومنها: تحديات الحداثة، وتحديّات إعادة قراءة النصّ القرآنيّ.

وتتضح أهميّة الموضوع في هذه الدراسة في تقييم موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير القرآن بالرأي، ونقده نقداً علميّاً، والخروج بنتائج مهمّة؛ لتكون نقاطاً مضيئة للدارسين؛ لينطلقوا منها لمواجهة التحديات المذكورة.

أمّا أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه فتتضح بما يأتي:

١-الكشف عن مكانة الشريعة الإسلاميّة في مواجهة تحديّات قراءة النصّ القرآنيّ عند الحداثيّين، ومن ذلك موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير القرآن بالرأي.

٢- الكشف عن خطورة تحدّيات إعادة قراءة النصّ القرآنيّ عند الحداثيّين، والعمل على مواجهتها بالنقد العلميّ والموضوعيّ؛ كي يتسنّى للدارسين والجيل المعاصر الاطلاع عليها ومعرفة حقيقتها، وتأثيرها على فكرهم وثقافتهم وتراثهم.

أمّا المشكلة التي تواجهها هذه الدراسة فتتمثّل بالأسئلة الاتية:

ما مدى توسّع الحداثيّين في تحدّيات قراءة النصّ القرآنيّ؟ وما مدى خطورة هذه التحدّيات على الفكر الإسلاميّ ونتاجه وتراثه؟ وكيف يمكننا مواجهتها بالنقد العلميّ البناء؟

وانطلاقاً من المؤتمر العلميّ الدّولي الخامس عشر الذي يحمل عنوان:(الشريعة الإسلاميّة في مواجهة التحدّيات المعاصرة) المُزمَع عقده في كليّة الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة بتاريخ ١-٢ /٣/ ٢٠٢١م، وضمن المحور الرابع:(تحدّيات إعادة قراءة النصوص القرآنيّة والنبويّة بمعزل عن ثوابت الشريعة) ستكون مشاركتي ببحث يحمل عنوان:

قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّين

دراسة نقديّة في موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير القرآن بالرأي

وقد اقتضت هيكليّة البحث أن تكون في مقدّمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

وقد تضمّن المدخل ثلاثة مطالب، هي:

الأول: مفهوم (قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّين).

الثاني: تعريف بالدكتور محمّد شحرور.

الثالث: مفهوم (تفسير القرآن بالرأي).

أمّا المباحث الثلاثة، فهي:

المبحث الأول: موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير الألفاظ القرآنيّة

ويتضمّن ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: عدم الالتزام بالدلالة اللغويّة (المعجميّة).

المطلب الثاني: التزييف والتدليس في دلالة الألفاظ ومعانيها.

المطلب الثالث: تنزيل ألفاظ القرآن على مصطلحات ومعانٍ جديدة حادثة.

المبحث الثاني: موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة

المطلب الأول: الخطأ المتعمَّد في فهم الجمل والأساليب.

المطلب الثاني: عدم الالتزام بقواعد اللغة والنحو والصرف في فهم الجمل والأساليب.

المبحث الثالث: موقف الدكتور محمّد شحرور من تأويل آيات القرآن الكريم.

المطلب الأول: التأويل الباطنيّ الماركسيّ للمصطلحات القرآنيّة.

المطلب الثاني: التأويل المادّيّ الإلحاديّ للآيات القرآنيّة.

أمّا الخاتمة فقد دوّنت فيها أهمّ النتائج، والأفكار التي توصّلتُ إليها.

وقد اتّبعت في البحث منهجاَ مركَّباً يمكن تسميته - تجوّزاً - بـ (المنهج الانتقائيّ التحليليّ النقديّ)، الذي يقوم بانتقاء المسائل المتعلّقة بموضوع الدراسة، ثمّ تحليلها تحليلاً علميّاً، ونقدها على وفق القواعد النقديّة العلميّة.

أمّا المصادر والمراجع التي استخدمتُها فكانت متنوّعة، أهمّها: الدراسات المعنيّة بقراءة الحداثيّين للنصّ القرآنيّ، وفي مقدّمتها كتاب:(الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة) للدكتور محمّد شحرور، وبحث بعنوان (القراءة الحداثية للنصّ القرآني: دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، للباحثة فاطمة الزهراء الناصري)، ومنها:

كتب الفكر الإسلاميّ والمذاهب الفكريّة المعاصرة، مثل كتاب (كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة)، لعبد الرحمن حبنّكة الميدانيّ،

و منها: كتب التفسير القرآنيّ، ومنها: كتب في دراسات قرآنيّة ولغويّة عامّة، وغيرها.

التمهيد

المطلب الأول: حول مفهوم (قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّين)

أولاً: مفهوم (الحداثة)

عُرّفت (الحداثة) تعريفات عديدة ليس فيها تعريف جامع مانع، ولكن من أهمّ التعريفات شمولاً لها: تعريف جيف فاونتاين، بأنها: «سلسلة من التحوّلات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدّن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا، والتي أصبحت أساسًا لفكرة الشكّ الديني وعدم الاعتقاد بصحة الكتب المقدسة»[1].

(١) ما بعد الحدثة - دراسة في المشروع الثقافّي الغربّي، الدكتور باسم علي خريسان:٤٧.

و يمكن تعريف (الحداثيّين)، بأنهم: أصحاب «عدد من الحركات الفكريَّة الدَّاعية إلى التَّجديد والثَّائرة على القديم في الآداب الغربيّة وكان لها صداها في الأدب العربيّ الحديث خاصّة بعد الحرب العالميّة الثَّانية»(١).

ويمكن تلخيص أهمّ الركائز التي تقوم عليها الحداثة بما يأتي:

١- الحركة الدائمة التي همُّها توليد الحركة.

٢- تقديس الجديد من حيث هو جديد لا لاعتبارٍ آخر.

٣- الاهتمام بالحاضر والرفض التام للماضي.

٤- التمركز حول الذّات.

٥- تمجيد العقل والسعي نحو العقلنة.

٦- التمدّن والتصنيع والتكنولوجيا.

٧- الشكّ في صحة الكتب المقدسة وفي كلّ ما هو ديني.

٨- الانفتاح الكامل على الكون(٢).

ثانياً: مفهوم (القراءة الحداثيّة للنصّ القرآنيّ)

يقصد بـ (القراءة الحداثيّة للنصّ القرآنيّ): « تلك المدرسة التي تبنَّى أصحابُها فلسفات ومذاهب غربيّة حديثة، وحاولوا تطبيقها في تفسير القرآن الكريم، متجاوزين الأدوات العلمية التفسيرية المسطَّرة عند أهل الاختصاص في هذا العلم، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع الآيات القرآنية: محمد أركون، ومحمد شحرور، ونصر حامد... وغيرهم»(٣).

وقد يعبَّر عنها بتسميات أخرى، مثل: (القراءة الحديثة)، و(القراءة المعاصرة)، و(القراءة الجديدة)، لكنَّ أقرب تسمية لها هو: نسبتها إلى (فلسفة الحداثة)(٤).

ويمكن إيجاز أهمّ خصائص (القراءة الحداثيّة للنصّ القرآنيّ)، بما يأتي:

١-سيادة العقل في العملية التأويلية:

إذْ «تعتمد القراءة الحداثية أساسًا على العقل في التعامل مع الآيات القرآنية، بل والرأي المجرد عن الدليل حتى فيما يتعلّق بالحقائق الغيبية والقضايا التي وردت فيها أحاديث صحيحة وقطعية الدلالة، وهو الشيء الذي لا يتوافق مع أصول وقواعد تفسير القرآن؛ ولهذا فهم يستبعدون السُّنة تمامًا في العملية التفسيرية، ولا يلتفتون مطلقًا إلى الآثار الواردة في التفسير»(٥).

٢-الغموض والتضارب المنهجي:

إذْ «يجمع بين القراءة الحداثية قاسم مشترك هو الغموض؛ إذ يعتبر الغموض الفكري والمنهجي

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر:١/ ٤٥٣ (ح د ث).

(٢) ينظر: القراءة الحداثية للنصّ القرآني: دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، فاطمة الزهراء الناصري.
https//:tafsir.net/article5217/

(٣) ينظر: القراءة الحداثية للنصّ القرآني.

(٤) ينظر: م.ن .

(٥) ينظر:م.ن.

والمصطلحي ظاهرة بارزة في هذا الخطاب، حيث اتخذ الإغراب والتعقيد تعويضًا عن الضحالة الفكرية والتضارب المنهجي الغالب على هذه الكتابات، وقد يبلغ هذا الغموض درجة (الإرهاب المصطلحي) عند بعض الحداثيين في تعاملهم مع القرآن الكريم كمحمد شحرور...)[1].

أمّا أهمّ أهداف (القراءة الحداثية للنصّ القرآني) فهي:

١-إعادة قراءة النصّ القرآني:

إذ «إنَّ هَمَّ الحداثيين اليوم هو إعادة قراءة القرآن، ومحاولة الشرعنة لذلك من خلال القرآن الكريم نفسه»، وإنّ «القراءة الحداثية لا تجد أيّ غضاضة في استنساخ وإسقاط فلسفات غربية متنوعة على النصّ القرآني، والشرعنة لنفسها من فلسفات الحداثة وما بعدها»[2].

٢-القطيعة المعرفية بالتراث القرآني وتضخيم الآراء الشاذة:

ويعدّ جمال البنّا، وعبد المجيد الشرفيّ «من الحداثيين الذين سفَّهوا التراث التفسيري[3] ودعَوا إلى التعامل المباشر مع القرآن الكريم»؛ فقد قال جمال البنا مثلاً: «المسلمون فهموا القرآن عبر التفاسير فَضَلُّوا... لا بدَّ أنْ نستبعد الالتزام بالتفاسير؛ إذ لا فائدة فيها، ونقرأ القرآن مباشرة»[4].

(١) م. ن.
(٢) القراءة الحداثية للنصّ القرآني.
(٣) م. ن.
(٤) م.ن .

المطلب الثاني: تعريف بالدكتور محمّد شحرور ومنهجه في التفسير

هو الدكتور محمد شحرور بن ديب، مهندس وباحث ومفكّر سوريّ، ومؤلّف ومنظّر لما أُطلِق عليه (القراءة المعاصرة للقرآن).

ولد في دمشق عام (١٩٣٨م) من عائلة متوسطة حيث كان والده صباغاً، أتمّ تعليمه الثانوي في دمشق، وحاز على الثانوية العامة (١٩٥٨م)، وسافر بعد ذلك إلى الاتحاد السوفييتي ليتابع دراسته في الهندسة المدنية، وتخرج بدرجة دبلوم (١٩٦٤م) من جامعة موسكو آنذاك، ثم عاد لدمشق ليعين فيها معيداً في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق حتى عام (١٩٦٨م).

أُوفد الدكتور شحرور إلى جامعة دبلن بإيرلندا عام (١٩٦٨م) للحصول على شهادتي الماجستير عام (١٩٦٩م)، والدكتوراه عام (١٩٧٢م) في الهندسة المدنية تخصّص (ميكانيك تربة وأساسات)، وبعد ذلك عُيّن مدرساً في كلية الهندسة المدنية - جامعة دمشق عام (١٩٧٢م) لمادة ميكانيك التربة، ثم أستاذا مساعداً، وافتتح مكتباً هندسياً استشارياً لممارسة المهنة كاستشاري منذ عام (١٩٧٣م)، واستمرّ يمارس الدراسات والاستشارات الهندسية في مكتبه الخاصّ في حقل ميكانيك التربة والأساسات والهندسة حتى سنوات حياته الأخيرة، وقدم وشارك في استشارات فنية لكثير من المنشآت الهامة في سوريا، وله عدة كتب في مجال تخصّصه تؤخذ كمراجع مهمّة لميكانيك التربة

والأساسات.

بدأ الدكتور شحرور في دراسة القرآن الكريم وهو في أيرلندا، وبعد عودته من موسكو بعد حرب (١٩٦٧م) وذلك في عام (١٩٧٠م)؛ إذْ بدأ كتاباته عن القرآن والإسلام، وقد ساعده المنطق الرياضيّ على هذه الدراسة، واستمر بالدراسة حتى عام (١٩٩٠م)، واتّهمه البعض باعتناقه للفكر (الماركسي)ّ بسبب قضائه فترة شبابه في الاتحاد السوفيتي، وقد كسب العديد من المؤيدين والمعارضين لأفكاره في العديد من البلدان، يدَّعي البعض أنه دكتور حتى يجدوا لأقواله صدى بين الجمهور الناشئ.

للدكتور محمد شحرور مجموعة من المؤلفات أصدرها ضمن سلسلة (دراسات إسلامية معاصرة)، منها صادرة عن دار الأهالي في دمشق، ومنها صادرة عن: دار الساقي، في بيروت، ومنها عن: دار بريل في هولندا.

ويمكن ذكر أهمّ هذه المؤلفات بإيجاز فيما يأتي:

١-الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة، عام (١٩٩٠م) في (٨٢٢) صفحة،

وهو أهمّ مؤلفاته المعروفة، وقد «حاول فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن مما أثار لغطاً شديداً استمر لسنوات، وصدرت العديد من الكتب لنقاش الأفكار الواردة في هذا الكتاب، ومحاولة دحضها، أو تأييدها».

٢- تجفيف منابع الإرهاب، عام (٢٠٠٨م)، في(٣٠٠) صفحة.

٣-القصص القرآني، عام(٢٠١٠م)، وعام (٢٠١٢م).

٤-الكتاب والقرآن - رؤية جديدة، عام (٢٠١١م)، في (٧١١) صفحة.

٥-أمُّ الكتاب وتفصيلها: قراءة معاصرة في الحاكمية الإنسانية - تهافت الفقهاء والمعصومين)، عام (٢٠١٥ م)، في(٤٦٤) صفحة.

وقد وجّهت العديد من الانتقادات لأفكار الدكتور محمد شحرور، وبخاصة كتابه الأول (الكتاب والقرآن)، وصدرت عدة مؤلفات تنقد هذه الأفكار، منها:

١-الحداثون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم - دراسة نقدية، للدكتور الجيلاني مفتاح - دار النهضة، دمشق (٢٠٠٦م).

٢-بيضة الديك - نقد لغوي لكتاب (الكتاب والقرآن)، يوسف الصيداوي - دمشق.

توفي الدكتور شحرور في مدينة (أبوظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة في تاريخ (٢١ / ١٢ / ٢٠١٩)، ونقل جثمانه إلى دمشق بناءً على وصيته ليدفن في مقبرة العائلة[1].

أمّا منهجه في التفسير فيمكن إجماله بما يأتي:

١- جعل القرآن الكريم تابعاً للقيم العلمانية المعاصرة، وليّ أعناق النصوص للخروج بمفاهيم تتلاءم مع هذه القيم[2].

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) ينظر: كيف يحرّف محمد شحرور القرآن؟ شريف محمد

٢- الضابط الوحيد عنده في تفسير القرآن هو (الجذر اللغوي)، فعندما يريد تفسير كلمة معينة في القرآن يلجأ إلى القواميس؛ للبحث عن معنى يجده أكثر توافقا مع القيم العلمانية المعاصرة[١].

٣- مدار (القراءة المعاصرة للقرآن) عنده يدور على أن يكون التعامل مع النصّ القرآنيّ وجهاً لوجه من غير مُسبقات، أي: عدم الاعتماد على أيّ مصدر تفسيريّ مُسبق، وهذا مخالف لقواعد التفسير وأصوله؛ لذلك فإنَّ قراءته المعاصرة تنحى منحى (الدراسة التاريخية النقدية)، أي: فكّ الارتباط بين نصّ التنزيل وما أُلصق به عبر مراحل تاريخ التفسير وعموم الفكر الإسلاميّ، والسعي نحو تأسيس نموذج آخر للقراءة، وكذلك عدم الاعتماد على كلّ كتب التفسير؛ لكون كلّ تفسير يحمل طابع مرحلته التاريخية[٢].

٤- إنّ تقصّي دلالات النصّ الحكيم رهين بالتطورات المعرفية والعلمية المعاصرة؛ للبرهنة على مصداقية هذا النصّ في السياق المعاصر[٣].

المطلب الثالث: مفهوم (تفسير القرآن بالرأي)

عُرّف التفسير بالرأي[٤]، تعريفات عديدة، منها تعريف الدكتور محمّد حسين الذّهبيّ - رحمه الله - بأنه: «تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر»[٥].

والتفسير بالرأي نوعان:

١-التفسير بالرأي الجائز[٦]: وهو الذي يقوم على أسس علميّة منهجيّة، وتتحقق فيه الشروط والضوابط المطلوبة.

٢-التفسير بالرأي غير الجائز[٧]: وهو الذي يقوم على الهوى أو الجهل[٨]، أي: لا يقوم على أسس علميّة منهجيّة، ولا تتحقق فيه الشروط والضوابط المطلوبة كالأول.

والكلام على (تفسير القرآن بالرأي) طويل وواسع لا يسعه هذا المختصر، ويمكن مراجعة المصادر

جابر:
https://www.aljazeera.net/blogs/12/6/2017

(١) ينظر: م . ن.

(٢) ينظر: القراءة المعاصرة للقرآن، لمحمّد شحرور (١-٤) باعث الاجتهاد: تجاوزاً وتأسيساً، محمد كنفودي: ١٨/٢٦.

(٣) ينظر: م.ن:٢٦/ ١٩.

(٤) ويسمّى: (التفسير العقلّي، والتفسير غير النقلّي، والتفسير النظريّ، التفسير بالاجتهاد...)، وغير ذلك.

(٥) التفسير والمفسرون:١/ ١٨٣.

(٦) ويسمّى: (الرأي المحمود، والرأي المقبول، ...) وغير ذلك.

(٧) ويسمّى: (الرأي المذموم، والرأي المردود، ...) وغير ذلك.

(٨) تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين، الدكتور صلاح الخالديّ:٤١٤،٤١٥.

والمراجع التي تناولت الحديث عنه، والبحث فيه مفصّلاً، وهي موجودة وكثيرة.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول: موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير الألفاظ القرآنيّة

المطلب الأول: عدم الالتزام بالدلالة اللغويّة (المعجميّة)

للدكتور محمد شحرور موقف من تفسير الألفاظ القرآنيّة، وهو: عدم الالتزام بدلالتها اللغويّة (المعجميّة)، ومثال ذلك ما ذكره في قوله تعالى في الكلام على المؤمنات: (...وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...)[1].

فقد ذكر أنّ جسد المرأة قسمان: قسم ظاهر بالخلق، وقسم غير ظاهر بالخلق، وفسّر الثاني بأنه: «أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها، هذا القسم المخفيّ هو الجيوب»[2]، وذكر بعد ذلك دلالة (الجيب) في هذه الآية بقوله: «والجيب جاء من (جيب)، كقولنا: جبتُ القميص، أي: قوّرتُ جيبه، وجيّبته، أي: جعلت له جيباً، و(الجيب) - كما نعلم هو فتحة لها طبقتانِ لا طبقة واحدة؛ لأنّ الأساس في (جيب) هو فعل (جوب) في اللسان العربيّ له أصل واحد، وهو: الخرق في الشيء، ومراجعة الكلام (السؤال والجواب)، فالجيوب في المرأة لها طبقتانِ، أو طبقتانِ مع خرق، وهي: ما بين الثديينِ، وتحت الثديينِ، وتحت الإبطينِ والفرجِ والأليتينِ، هذه كلّها جيوب، فهذه الجيوب يجب على المرأة المؤمنة أن تغطّيها؛ لذا قال :(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...)[3].

يتضح من قول شحرور السابق أنّه جعل أصل دلالة (الجيب) بأنه: الخرق في الشيء، وهو الجزء المخفيّ، وأنه فتحة له طبقتانِ، أو طبقتان مع خرق، وله مواضع عديدة، منها: ما بين الثديينِ، وتحت الثديينِ، وتحت الإبطينِ والفرجِ والأليتينِ.

ولدى رجوعنا إلى المعجمات اللغويّة نلاحظ أنّ الدكتور شحروراً لم يلتزم بالدلالة اللغويّة المعجميّة لكلمة (جيب)، وأنّه أضاف إلى معناه اللغويّ مالم يرد في كلام العرب.

فخلاصة ما جاء في كلام العرب لدلالة (الجيب) أنّه: جيب القميص، يقال: جُبْتُ الْقَمِيصَ قَوَّرْتُ جَيْبَهُ، وَجَيَّبْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ جَيْبًا، وأنّ معنى الجيب: (الخرْق)، وكلّ شيء قُطع وسطه، وهو من الياء، أي (جيب) وليس من الواو (جوب)، و(الجوْب): درع تلبسه المرأة، وما إلى ذلك من المعاني اللغويّة[4].

---

(١) سورة النور:٣١.

(٢) الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة، الدكتور محمّد شحرور:٦٠٦.

(٣) م . ن :٦٠٦-٦٠٧.

(٤) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ:٦/ ١٩٢ (جيب- جوب)؛ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس:١/ ٤٩٧،٤٩٨ (جيب)؛ لسان العرب، ابن منظور:١/ ٢٨٦(فصل الجي.

وليس في كلام العرب أنه: الجزء المخفيّ، وأنه فتحة له طبقتانِ، أو طبقتان مع خرق، وأنه: ما بين الثديينِ، وتحت الثديينِ، وتحت الإبطينِ والفرجِ والأليتينِ، وكذلك هو ليس من (جوب) كما ذكر الدكتور شحرور، يضاف إلى ذلك أنّ تفسيره للفظة (الجيب)» مبنيّ على خطإٍ لغويّ من ناحية الأصل والاستعمال، ومن ناحية قواعد فهم النصوص اللغويّة (الدلالة المعجميّة)»[1].

فقد اتضح ممّا سبق عدم التزام الدكتور شحرور بالدلالة اللغويّة المعجميّة في تفسير الألفاظ القرآنيّة.

المطلب الثاني: التزييف والتدليس في دلالة الألفاظ ومعانيها

للدكتور محمد شحرور موقف آخر من تفسير الألفاظ القرآنيّة، وهو: التزييف والتدليس في دلالة الألفاظ ومعانيها، ومثال ذلك ما ذكره لدى كلامه على الفرق بين (البلاغ)، و(التبليغ)، (الإبلاغ) في كتاب الله تعالى.

فقد ذكر أنّ « الهمزة في اللسان العربيّ تعطي معنى التعدّي، مثال ذلك: بلّغَ، وأبلغَ، فلدينا مصطلحانِ هما: البلاغ والإبلاغ»[2]، وذكر لذلك شواهد من القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ)[3]، وقوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)[4]، وقوله تعالى:(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ)[5].

ثمّ بيّن أنّ (البلاغ): «عملية نقل من شخص إلى آخر دون التأكد من أنّ الشخص المنقول إليه البلاغ وصله الخبر»[6]، وهو «مجرد عملية نشر الخبر أو الأمر»[7]، على حين أنّ (الإبلاغ) بالهمزة: «عملية التأكد من أنّ الإنسان المقصود تبليغه قد وصله البلاغ وأصبح ضمن مدركاته»[8]، وأنه إذا اعترُض عليه بورود (التبليغ) دون (الإبلاغ) في قوله تعالى على لسان هود -عليه السلام -:(قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ)[9]، فالجواب عنه: أنّ ذلك كان في بداية الدعوة لا في نهايتها[10].

وإذا أنعمنا النظر في كلام الدكتور شحرور السابق، وأمعنا فيه لوجدنا أنه زيّف ودلّس في دلالة ومعاني الألفاظ التي ذكرها هنا، وهي (البلاغ)، (والتبليغ)، (والإبلاغ)؛ فقد شرحها شرحاً خاطئاً، وأقام عليه أحكاماً مهمّة[11]، ذلك أنه ألبس هذه الألفاظ دلالات ومعاني ليس منها، ولا علاقة بها، وسنذكر هنا الدلالات والمعاني الخاصّة بها، والواردة في لسان

(١) التيار العَلمانّي الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم - عرض ونقد، منى محمّد بهي الدين الشافعيّ:٤٧٣-٤٧٦.
(٢) الكتاب والقرآن:١٤٨.
(٣) سورة المائدة:٩٩.
(٤) سورة المائدة:٦٧.
(٥) سورة الأعراف:٩٣.
(٦) الكتاب والقرآن:١٤٨.
(٧) م.ن:١٤٩.
(٨) م.ن:١٤٩.
(٩) سورة الأحقاف:٢٣.
(١٠) م.س:١٤٩.
(١١) ينظر: التيار العَلمانّي الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم:٤٨٧.

العرب، وكلام المفسّرين لدى تفسيرهم للآيات التي تضمّنت هذه الألفاظ.

أمّا لفظ (البلاغ) فهو من: بلغَ المكان، إذا وصل إليه، أو شارف عليه، وهو اسم لـ (الإبلاغ)، و(التبليغ)، ومعناهما: الإيصال[1]، و(البلاغ): اسم مصدر[2] و(البلاغ): «الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدّرة، وربما يعبّر به عن المشارفة عليه وإنْ لم ينته إليه»[3]، و(التبليغ):«جعل الشيء بالغاً، والبلوغ الوصول إلى المكان المطلوب وصوله»[4].

ويكون (التبليغ)، و(الإبلاغ) معناهما واحداً، يقال: « بَلَّغْتُهُ الخبر وأَبْلَغْتُهُ مثله»[5].

وقد بيّن الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) -رحمه الله - دلالة (التبليغ)، و(الإبلاغ) في قوله تعالى:(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ)[6]،«والتبليغ والإبلاغ: جعل الشيء بالغاً، أي واصلاً إلى المكان المقصود، وهو هنا استعارة للإعلام بالأمر المقصود علمه، فكأنه ينقله من مكان إلى مكان»[7].

وخلاصة القول في دلالة ومعاني الألفاظ الثلاثة الماضية: أنّ (البلاغ): اسم مصدر بمعنى الوصول والانتهاء إلى أقصى المقصد، وقد يكون بمعنى المشارفة على الشيء. وأنّ (التبليغ)، و(الإبلاغ): معناهما واحد، هو: الإيصال وجعل الشيء بالغاً وواصلاً إلى المقصود.

وهذه المعاني والدلالات هي غير ما ذكره الدكتور شحرور في هذه الألفاظ، وهو ما يوضّح موقفه من تفسير الألفاظ القرآنيّة، وهو: التزييف والتدليس في دلالة الألفاظ ومعانيها، والمتمثلة بـ (البلاغ)، و(التبليغ)، (الإبلاغ) في كتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: تنزيل ألفاظ القرآن على مصطلحات ومعانٍ جديدة حادثة

للدكتور محمد شحرور موقف آخر من تفسير الألفاظ القرآنيّة، وهو: تنزيل ألفاظ القرآن على مصطلحات ومعانٍ جديدة وحادثة، من ذلك تنزيله لألفاظ القرآن على مصطلحات فلسفيّة غربيّة حادثة، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير كلمة (التسبيح) في القرآن الكريم؛ فقد فسّرها ونزّلها على مصطلح ماركسيّ حادث؛ إذ فسّرها على وفق مفهوم (الجدل الداخليّ في الشيء الواحد)، و(جدل هلاك الشيء)، وهما يندرجان تحت نظريّة (صراع المتناقضات) الماركسيّة الساقطة.

قال في هذا الصدد: «إنّ صراع العنصرينِ المتناقضينِ داخليّاً، الموجودينِ في كلّ شيء يؤدي إلى تغيّر شكل كلّ شيء باستمرار، ويتجلّى في هلاك شكل ذلك وظهور

(١) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي:١/ ١٧٨(بلغ).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٥/ ١٣٣.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني:١/ ١٤٤ (بلغ.
(٤) ينظر: م . س:٦/ ٢٥٨.
(٥) ينظر: م. س:١/ ١٤٤-١٤٥(بلغ).
(٦) سورة الأعراف:٦٢.
(٧) التحرير والتنوير: ٨-ب/ ١٩٣.

شكل آخر، وفي هذا الصراع يكمن السرّ في التطور والتغيّر المستمرينِ في هذا الكون مادام قائماً. هذا ما يسمّى بالحركة الجدليّة الداخليّة، والتي أطلق عليها في بعض الترجمات مصطلح (النفي ونفي النفي)، وقد أطلق عليها القرآن مصطلح (التسبيح)»[1]، ويذكر عدداً من الشواهد القرآنيّة على ذلك، مثل قوله تعالى:(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)[2]، وقوله تعالى:(سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[3]، وقوله تعالى:(يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)[4]، وبعدها يستأنف قائلاً: « والتسبيح جاءت[5] من (سبّح)، وهو الحركة المستمرّة (كالعوم في الماء) كقوله عن حرك كلّ شيء:(كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[6]، ...وسيبقى هذا القانون سائداً حتى يهلك هذا الكون المادّيّ... وقولنا (سبحان الله) في صلاتنا هو إقرار العاقل بهذا القانون، حيث ورد التسبيح في القرآن في حالتين: حالة تسبيح الوجود، وحالة تسبيح العاقل، (أي: حالة الإقرار العاقل بقانون التطور)...»[7]، ويقول: «أمّا القول بأنّ (سبحان الله) هو تنزيه لله عن النقائص والعيوب فهو قول قد مضى زمانه، حيث إنّ النقائص والعيوب تحمل معنىً معرفياً، ومعنىً اجتماعيّاً إنسانيّاً فهي تحمل مفهوم (النسبيّة) حيث تتغيّر هذه المفاهيم من مكان لآخر، ومن زمن لآخر. إنّ التسبيح الحقيقيّ للأشياء كلّها في وجودها لله تعالى يرجع إلى كون الله مصدر الحركة الجدليّة الداخليّة في الأشياء كلّها منذ خلق الله هذا الكون المادّي، وهو منزّه عن هذه الحركة في ذاته...»[8].

ولو أمعنّا النظر في هذه الأقوال التي أدلى بها الدكتور شحرور لوجدنا أنه يقرّر عدّة أمور نوجزها بما يأتي

١-تفسير مصطلح (التسبيح) الوارد في القرآن بـ (الحركة الجدليّة الداخليّة)، أو بما يسمّى بـ (النفي ونفي النفي)، الذي فسّره بصراع المتناقضينِ داخليّاً، الموجودين في كلّ شيءٍ، وهذا ما يسمّى بـ (نظريّة صراع المتناقضات) في الفكر الماركسيّ، وهذا الصراع هو الذي يبيّن سبب التطوّر والتغيّر في الكون القائم، وصار هذا التطوّر كالقانون في الكون الذي سيدوم حتى ينتهي الكون المادّي.

٢-ورود مصطلح (التسبيح) في القرآن الكريم في حالتين: حالة تسبيح الوجود، وحالة تسبيح العاقل، (أي: حالة إقرار العاقل بقانون التطور)، وأنّ جملة:(سبحان الله) التي نقولها في الصلاة هي: إقرار العاقل بهذا القانون.

٣-ذكره أنّ القول الذي يفسّر جملة (سبحان الله)

(١) الكتاب والقرآن:٢٢٣.
(٢) سورة الإسراء:٤٤.
(٣) سورة الحديد:١.
(٤) سورة الجمعة:١.
(٥) الصحيح أن يقول:(جاء) بالتذكير؛ لأنه يعود إلى (التسبيح) فهو مذكر، إلا إذا قصد رجوعها إلى لفظة (كلمة) فتصحّ حينئذٍ.
(٦) سورة الأنبياء:٣٣.
(٧) الكتاب والقرآن:٢٢٣.
(٨) م . ن:٢٢٤.

بأنها: تنزيه لله عن النقائض والعيوب هو قول قد مضى زمانه، حيث إنّ النقائض والعيوب هي أمور تحمل مفهوم (النسبيّة)، فهي تتغيّر من مكان لآخر، ومن زمن لآخر.

٤-تقريره أنّ التسبيح الحقيقيّ للأشياء كلّها لله تعالى يرجع إلى كون الله مصدر الحركة الجدليّة الداخليّة في الأشياء منذ خلق الله هذا الكون المادّي، وهو منزّه عن هذه الحركة في ذاته.

وبعد إيراد هذه الأمور يمكننا مناقشتها ونقدها بما يأتي:

١-أمّا تفسيره مصطلح (التسبيح) بـ (الحركة الجدليّة الداخليّة)، وبنظريّة (صراع المتناقضات)، وأنّ حالة تسبيح العاقل هي إقراره بقانون التطور، وأنّ جملة:(سبحان الله)، هي إقراره بهذا القانون، وأنّ التسبيح الحقيقيّ يرجع إلى كون الله مصدر الحركة الجدليّة، وهو منزّه عن هذه الحركة في ذاته، فنقول:

إنّ نظريّة (صراع المتناقضات) هي بالأساس فكرة أسّسها الفيلسوف المثاليّ الألمانيّ (هيجل)، وهي «فكرة تخيّليّة افتراضيّة، بهدف جعلها أساساً لحركة الكون، بدل الإيمان بالله الخالق البارئ المصوّر المتصرّف في أحداث الكون وتغيّراته»[١]، وهي: «الأصل الفلسفيّ الذي قامت عليه الماركسيّة التي هي أصل للشيوعيّة»[٢]، وقد تمّ ربطها بفكرة (النشوء والارتقاء في الأشياء والأحياء) التي أسّسها (داروين) الإنجليزي، وهي أيضاً «فكرة تخيّليّة افتراضيّة غير مقترنة بأدلة علميّة»[٣]، وقد قَرَنت المؤسسة الصهيونيّة بين هاتينِ الفكرتينِ على يد (كارل ماركس)، وعميلها الماسونيّ (إنجلز)، وجعلت من هاتين الفكرتينِ الباطلتينِ قانوناً أرادت أن تطبق عليه «كلّ شيء في الوجود؛ ليكون هذا القانون المفترى على الحقّ بديلاً للإيمان بالله الربّ الخالق جلّ جلاله»[٤].

وتعدّ هذه النظريّة نظريّة وهميّة باطلة وفاسدة؛ لأنها لا تعتمد على أيّ دليل عقليّ أو علميّ حسيّ تجريبيّ، وكلّ ما فيها دعاوى وآراء بدون بيّنات، أو أدلّتها وهميّة[٥].

إنّ تفسير الدكتور شحرور (التسبيح) بنظريّة (صراع المتناقضات)، من قبيل التفسير الباطنيّ؛ لأنه لا يستند على أيّ دليل، لا من اللغة، ولا من العقل، ولا من الشرع[٦]؛ لذلك يعدّ تفسيراً مردوداً غير مقبول؛ ولأنه تنزيل لألفاظ القرآن على مصطلحات حادثة، وهي هنا مصطلحات فلسفيّة غربيّة ماركسيّة وشيوعيّة.

(١) التحريف المعاصر في الدين، عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانيّ: ١٦٩.
(٢) التيار العَلمانيّ الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم:٥٠٣.
(٣) م . ن: ١٦٩.
(٤) م . ن:١٦٩، ١٧٠.
(٥) كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميدانيّ:٤٦٥، دار القلم، دمشق، ط:٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)
(٦) التيار العَلمانيّ الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم:٥٠٣.

٢-وأمّا رأيه بأنّ تفسير (سبحان الله): (تنزيه لله عن النقائض والعيوب) هو: قول قد مضى زمانه، وأنّ النقائض والعيوب تحمل (النسبيّة)، فهو رأي مرفوض؛ لأنه لا يستند إلى أدلة علميّة مقبولة، والدليل على ذلك ورود (التسبيح) بهذا المعنى الذي رفضه شحرور في لغة العرب.

فالتسبيح في اللغة: التنزيه، ومعنى (سبحان الله): تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، ومعنى: (سبحانك) أي: أنزهك يا رب من كل سوء وأبرّئك، و(التسبيح): تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء[١].

وقال ابن عاشور: «والتسبيح قول أو مجموع قول مع عمل يدلّ على تعظيم الله تعالى وتنزيهه؛ ولذلك سمي ذكر الله تسبيحاً،... ويطلق التسبيح على قول (سبحان الله)؛ لأن ذلك القول من التنزيه... وهو الرفعة، أي: التنزيه عن أحوال النقائص...»[٢].

والخلاصة في هذه المسالة: أنّ للدكتور محمد شحرور موقفاً من تفسير الألفاظ القرآنيّة المتمثّلة بمصطلح (التسبيح)، وهو: تنزيلها على مصطلحات فلسفيّة غربيّة حادثة، وهي مصطلحات ماركسيّة وشيوعيّة، متمثلة بنظرية (صراع المتناقضات) الباطلة.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة

المطلب الأول: الخطأ المتعمَّد في فهم الجمل والأساليب

للدكتور محمد شحرور موقف من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة، وهو: الخطأ المتعمَّد في فهمها وتفسيرها، ومثال ذلك ما ذكره في جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[٣].

فقد قال: هنا الآية (٥٨) في سورة البقرة تبدأ بقوله (وَإِذْ قُلْنَا) والقائل هو الله، فقوله نافذ، ولكنه ينطبق فقط على الفقرات (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)، (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)، أي: إنهم دخلوا القرية وأكلوا ودخلوا الباب سجّداً، ولكن جملة (وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) هي جملة أمر (ضد النهي) وليست قولاً، ولكي يبيّن أنّ هذه جملة أمر قابلة للعصيان والطاعة وليست كلمة فقد أتبعها بالآية (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)، وليست كلمة نافذة، ولو كانت جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) كلمة

(١) ينظر: لسان العرب:٢/ ٤٧١- ٤٧٣(فصل السين).
(٢) التحرير والتنوير:١/ ٤٠٥.
(٣) سورة البقرة:٥٨، ٥٩.

من كلمات الله، وليست أمراً لتناقضت مع قوله تعالى (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)[1]؛ إذْ كيف يقول (لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) ويقول أيضاً (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)؛ لذا فقد أفرد آية خاصّة هي الآية (٥٩) من سورة البقرة لكي يؤكد عدم التناقض. وقد أكّد هذه الناحيّة أيضاً في الآيتين (١٦١-١٦٢) في سورة الأعراف (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)...إلخ»[2].

ويفهم من هذا الكلام الذي قاله الدكتور شحرور أنّ الجمل الثلاث في الآيتين السابقتين:(ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)، و(كُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)، و(ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)، هي من كلام الله تعالى، وأنّ كلامه هنا نافذ، أي: واقع ومتحقق، وأنّ جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) وردت بأسلوب الأمر، وليس معناها: النهي، وهي ليست من كلام الله تعالى؛ لذلك فهي جملة قابلة للعصيان والطاعة، وليست نافذة ومتحققة، وأنّ الدليل على أنها ليست من كلام الله تعالى أنه أتبعها بالآية (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)، وأنه لو كانت من كلام الله تعالى لتناقضت مع قوله تعالى (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)[3]؛ إذْ كيف يقول (لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) في موضع، ويقول (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) في موضع آخر؟!؛ ولذلك أفردها بآية خاصّة من سورة البقرة؛ ليؤكد عدم التناقض، وقد أكّد ذلك في سورة الأعراف أيضاً[4].

ونرى أنّ الدكتور شحروراً قد أخطأ في كلامه السابق عندما زعم أنّ جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) ليست من كلام الله تعالى؛ وأنّ الدليل على ذلك: أنه أتبعها بالآية (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)، وأنها تناقضت مع قوله تعالى (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)[5].

ذلك لأنّ جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) هي من جملة ما قيل لهم، وأُمروا بأن يقولوه، فهي ليست جملة مستقلّة وحدها، بل هي من جملة كلام الله تعالى، فلا دليل لما زعمه هنا، قال الرازيّ رحمه الله (ت٦٠٦هـ):» فالحاصل أنه أمر القوم[6] بأنْ يدخلوا الباب على وجه الخضوع، وأنْ يذكروا بلسانهم التماس حطّ الذنوب؛ حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان، وهذا الوجه أحسن الوجوه وأقربها إلى التحقيق»[7].

وما استدلّ به على ذلك هنا من أنه أتبعها أي: جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) بالآية (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)غير صحيح،

(١) سورة الكهف:٢٧.
(٢) الكتاب والقرآن:٧٩.
(٣) سورة الكهف:٢٧.
(٤) في الآيتين(١٦١)، و(١٦٢).
(٥) سورة الكهف:٢٧.
(٦) يعني أمرهم الله تعالى بذلك، فالآمر هو الله تعالى، فهذه الجملة من كلامه تبارك وتعالى.
(٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):٣/ ٥٢٣.

ولا ينهض دليلاً علمياً وموضوعيّا على زعمه؛ ذلك لأنَّ قوله تعالى: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)، ليس دليلاً على أنّ الجملة السابقة ليست من كلام الله تعالى؛ لأنه تعالى أمرهم بأن يقولوا هذه الجملة، ولكنهم بدّلوها وبدّلوا الأمور التي قبلها بقول آخر غير الذي قيل لهم، فهم لم يمتثلوا لكلامه تعالى، قال الرازيّ:» المراد من التبديل: أنهم أتوا ببدل له؛ لأنَّ التبديل مشتق من البدل، فلا بد من حصول البدل،...ثمّ اختلفوا في أنَّ ذلك القول والفعل أيّ شيء كان؟ فروي عن ابن عباس: أنهم دخلوا الباب الذي أمروا أنْ يدخلوا فيه سجداً زاحفين على استاههم، قائلين: حنطة من شعيرة، وعن مجاهد: أنهم دخلوا على أدبارهم وقالوا: حنطة استهزاء، وقال ابن زيد: استهزاء بموسى...»[1].

ثمّ إنّ تبديل القول لا يخصّ فقط (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ)، وإنما يعمّ جميع ما قاله الله تعالى لهم في هذه الآية، يقول ابن عاشور (رحمه الله)»وتبديل القول تبديل جميع ما قاله الله لهم، وما حدّثهم الناس عن حال القرية، وللإشارة إلى جميع هذا بنى فعل (قيل) إلى المجهول إيجازاً...وفائدة إظهار لفظ القول دون أن يقال (فبدلوه) لدفع توهم أنهم بدلوا لفظ (حطة) خاصة، وامتثلوا ما عدا ذلك؛ لأنه لو كان كذلك لكان الأمر هيناً»[2].

وما ادّعاه من أنّ: جملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) تناقضت مع قوله تعالى (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)[3]، فهو غير صحيح أيضاً، ولا دليل عليه؛ ولا علاقة قائمة بين هاتينِ الآيتينِ؛ ذلك لأنّ المقصود من (كلماته) هنا هو: القرآن[4]، وما أوعد به أهل المعاصي العاملين بخلاف الكتاب، أي: القرآن[5]، وليس المقصود به: الجملة السابقة (حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ)، أو شيءٌ من الجمل السابقة لها في الآية، فليس بين هذين النصّين القرآنيينِ أيّ تناقض أو اختلاف ، لا من قريب و لا من بعيد، فالدكتور شحرور هنا – كما قيل في المثل – يخبط خبط عشواء، فهو لا يعي ما يقول، وليس في كلامه أي ترابط موضوعيّ أو منطقيّ.

فخلاصة الكلام في هذه المسالة: أنّ للدكتور شحرور موقفاً من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة، وهو: الخطأ المتعمَّد في فهمها وتفسيرها، واتضح هنا بجملة (قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ).

المطلب الثاني: عدم الالتزام بقواعد اللغة والنحو والصرف في فهم الجمل والأساليب

للدكتور محمد شحرور موقف من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة، وهو: عدم الالتزام بقواعد اللغة والنحو والصرف في فهمها وتفسيرها، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير(نِسَائِهِنَّ) في قوله تعالى: (وَقُلْ

(١) مفاتيح الغيب:٣/ ٣٥٣.
(٢) التحرير والتنوير:١/ ٥١٦.
(٣) سورة الكهف:٢٧.
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبريّ:١٢/ ٦٢.
(٥) م . ن :١٧/ ٦٥١.

لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1].

قال الدكتور شحرور في هذا الصدد: «ماذا تعني هنا كلمة (نِسَائِهِنَّ)؟ لقد قال بعضهم: إنها تعني: النساء المؤمنات؛ أي أنّ المرأة لا يحقّ لها أن تبدي زينتها المخفيّة إلا أمام النساء المؤمنات، وهذا غير صحيح؛ لأنه لو عني ذلك لقال: (أو المؤمنات من النساء)، ولكنه قال: (أو نسائهنّ)، ونون النسوة هنا للتابعيّة لا للجنس، فإذا كانت للجنس فهذا يعني أنّ هناك نساء النساء، وهذا غير معقول إذا كانت (نِسَائِهِنَّ) تعني: الإناث، ولكن إذا قصد بـ (نسائهنّ): زوجات الرجال المذكورين قبلها، وهم: أخوها، وابن أخيها....الخ، فلزم أن يضع ميم الجماعة عوضاً عن نون النسوة، فيقول:(أو نسائهم)، ولكن هنا نون النسوة وليست ميم الجماعة، ولا يصحّ أن نقول: إنه وضع نون النسوة عوضاً عن ميم الجماعة للتغليب، فيصبح وضع نون النسوة لضرورة صوتيّة، ولا يوجد في الكتاب كلّه شيء اسمه ضرورة اللحن أو النغم، وهناك شيء واحد فقط هو ضرورة المعنى، فـ (نِسَائِهِنَّ) هنا يجب أن تكون من الذكور، وليس من الإناث، ونون النسوة للتابعيّة فقط، كأن نقول:(كتبهنّ ، بيوتهنّ)، وهذا لا يمكن إلا إذا فهمنا النساء على أنها: جمع (نسيء) لا جمع (امرأة) أي: المستجدّ (المتأخر) فالمستجدّ هنا وغير المذكور في الآية هو ما يلي: لم يذكر في آية الزينة ابن الابن والأحفاد، ولم يذكر ابن ابن الأخ، وابن ابن الأخت، وابن ابن الزوج...وهكذا دواليك، فابن الابن يأتي متأخراً عن الابن، (أَوْنِسَائِهِنَّ) أي: ما تأخر عن هؤلاء المذكورين من الذكور، وهم أبناؤهم، وأبناء أبنائهم، وفي نفس الوقت هؤلاء المتأخرين[2] لهم علاقة القرابة مع المرأة، لذا وضع نون النسوة»[3].

وإذا أمعنا النظر في كلام الدكتور شحرور لخرجنا بما يأتي:

١-نون النسوة هنا لـ (التابعيّة) لا لـ (الجنس)، وأنها لو كانت للجنس لكانت تعني: نساء النساء، وهذا غير معقول.

٢-لا يصحّ تفسير(نِسَائِهِنَّ)بأنهنّ: زوجات الرجال المذكورين قبلها؛ لأنه لو صحّ ذلك للزم أنْ يضع ميم الجماعة عوضاً عن نون النسوة، فيقول:(أو نسائهم)، أو عوضاً عنها للتغليب، أو لضرورة

(١) سورة النور:٣١.

(٢) الصحيح (المتأخرون)؛ لأنه بدل من اسم الإشارة وهو مرفوع، ولعله خطأ مطبعيّ، أو أنّ الدكتور شحروراً أخطأ فيه هنا، وبذلك يكون هذا دليلاً آخر على عدم معرفته بقواعد النحو، والله أعلم.

(٣) الكتاب والقرآن:٥١٣.

صوتيّة، وأنه ليس في القرآن ضرورة اللحن أو النغم، بل ضرورة المعنى.

٣-يجب أن تكون (نِسَائِهِنَّ) من الذكور، وليس من الإناث، وأنها: جمع (نسيء) لا جمع (امرأة)، أي: المتأخر، وهم غير المذكورين في الآية كابن الابن والأحفاد، وغيرهم، فيكون معنى (أوْ نِسَائِهِنَّ) أي: ما تأخر عن هؤلاء المذكورين من الذكور، الذين لهم قرابة مع المرأة؛ لذا وضع نون النسوة.

ويمكننا الآن مناقشة هذه الأمور الثلاثة، والرّدّ عليها، ونقدها بما يأتي:

١-أمّا الأمر الأول: فالنون هنا ليست (نون النسوة) - كما قال الدكتور شحرور - وإنما هي (نون الإناث)[١]؛ لأنّ الأولى مخففة (نَ)، والثانية مشدّدة (هنَّ)، فقد أخطأ الدكتور شحرور في تسميتها. وأمّا كونها للجنس فلم يرد ذلك في لغة العرب وعلم النحو، فقد ادعى الدكتور شحرور هنا اموراً غير موجودة أساساً، على أنه لم يبيّن معنى مصطلح (التابعيّة) التي نسبها إلى هذه النون فقد بقي الأمر غامضاً فيها، وقد أخطأ هنا في ادّعاء أمور ليست في علم النحو.

٢-وأمّا الأمر الثاني: فلا داعي لذكر هذا التفسير البعيد، كما لا يمكن خُطوره على البال؛ لأن الضمير (هنَّ) لا يمكن إرجاعه إلى غير النساء، فضلاً عن الرجال ليكون معناه (زوجات الرجال) كما فسّره الدكتور شحرور، كما أنه لا داعي لذكر مستلزماته أيضاً من ميم الجماعة عوضاً عن نون النسوة، أو عوضاً عنها للتغليب، أو لضرورة صوتيّة، وما إلى ذلك. وأمّا الضمير (هنَّ) فهو عائد إلى كلمة (المؤمنات) المذكورة قبلها، وفيها توجيهان، الأول: أنّ المعنى: (أو نساء المؤمنات)، وهذا حمل على ظاهر الإضافة، والثاني: أنّ معناه:(أو نساء) فقط، وأنَّ الضمير (هنّ) جاء لأجل الإتباع لبقيّة الضمائر المذكورة قبلها، فتكون الإضافة هنا، ومجيء الضمير (هنَّ) لغير فائدة معنويّة، بل لفائدة لفظيّة فقط، وهي: الفصاحة وحسن المزاوجة بين الألفاظ[٢]، فقد حّمل الدكتور شحرور التركيب(نِسَائِهِنَّ) هنا أكثر ممّا ينبغي، وذلك بعدم معرفته بقواعد النحو في إرجاع الضمائر إلى أصحابها.

٣-وأمّا الأمر الثالث: فقد جنى الدكتور شحرور على نفسه هنا بهذا التخريج الخاطئ لتفسير (نِسَائِهِنَّ)؛ إذْ فسّر كلمة (نِساء) بأنها: (الذكور) وليس (الإناث)، وأنها: جمع (نسيء)، وأنّ معناها: المتأخّر، وهم غير المذكورين في الآية، ولا ندري من أين جاء بهذا التفسير الغريب والبعيد والمخالف لقواعد لغة العرب وعلم الصرف؛ لأنّ كلمة (النساء) أصلها من الفعل:(نسا) بالألف، وهي جمع، مفرده:(المرأة) من غير لفظه[٣]، وليس أصلها من الفعل (نسأ) الذي معناه: التأخير، والاسم منه: النسيئة والنسيء والنَّساء[٤]. فيلاحظ أنّ الدكتور شحروراً قد خالف قواعد اللغة بتفسيره

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي:١/ ١٤٩

(٢) ينظر: التحرير والتنوير:١٨/ ٢٠٩.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١/ ١٦٦ (نسا).

(٤) ينظر: م . ن: ١٥/ ٣٢١ (نسأ).

(النساء) بمعنى: الرجال، وخالف علم الصرف بجعله (النساء) جمعاً لـ (المرأة)، فيكون بذلك غير ملتزم بهذه القواعد في فهم الجمل والأساليب.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث: موقف الدكتور محمّد شحرور من تأويل آيات القرآن الكريم

المطلب الأول: التأويل الباطنيّ الماركسيّ للمصطلحات القرآنيّة

للدكتور محمّد شحرور موقف من تأويل آيات القرآن الكريم، وهو: التأويل الباطنيّ الماركسيّ للمصطلحات القرآنيّة، ومن ذلك: تأويله الباطنيّ لمصطلح (الشرك) بأنه: (الثبات في هذا الكون المتحرّك).

فقد قال في هذا الصدد: «فالشرك بتعريفه العامّ (هو الثبات في هذا الكون المتحرّك) إنكار لقانون التسبيح، ووقوف ضد التطوّر، وهذا شرك الربوبيّة، وتثبيث لتشريع غير الله، وهذا شرك الألوهيّة كتثبيت مذهب أو مذاهب فقهيّة معيّنة، وعدم تطوير التشريع بشكل عامّ؛ لكي يتناسب مع الشروط الموضوعيّة المتطوّرة دائماً...فسكونيّة الفكر والفقه والتفسير هي من أول مظاهر الشرك الخفيّ عند العرب حيث إنهم أعطوا الموروث صفة المطلق، وأكبر مظاهر الشرك قاطبة هو سكونيّة الفكر، فالتخلف شرك، والتقدّم توحيد، أي إنّ الإنسان المسلم حتى يبتعد عن الشرك فعليه أن ينكر ظاهرة الثبات في الأشياء، وفي المجتمعات، وفي القوانين التشريعيّة، ويجب أن يؤمن أنَّ كلّ شيء متحرّك ما عدا العبادات والحدود في شكلها ومحتواها، والأخلاق في محتواها التي تشكل الصراط المستقيم (الثابت)، وإنَّ أيّ ظاهرة أو قانون يعيق التطوّر والتقدّم، فعلى المسلم أن يكافحها بشدة ويحنف عنها، فلا ثوابت في المجتمعات، وفي الدول وفي القانون وفي السياسة؛ لأنه حين نثبت فإننا نقع في الشرك والظلم...»[1].

وبعد قراءة هذا الكلام الذي قاله الدكتور شحرور يمكننا أن نفهم منه ما يأتي:

١-التعريف العامّ لـ (الشرك) هو: (الثبات في هذا الكون المتحرّك)، وإنكار لقانون التسبيح، وهذا شرك الربوبيّة، وتثبيث لتشريع غير الله، وهذا شرك الألوهيّة.

٢-إنّ من أول مظاهر الشرك الخفيّ عند العرب هو: سكونيّة الفكر والفقه والتفسير، وإنَّ أكبر مظاهر الشرك قاطبة هو سكونيّة الفكر، وإنّ التخلف شرك، والتقدّم توحيد.

٣-على الإنسان المسلم: أن ينكر ظاهرة (الثبات) في الأشياء، ويجب أن يؤمن: أنَّ كلّ شيء متحرّك ما عدا العبادات والحدود والأخلاق التي تشكل الصراط الثابت، كلّ ذلك حتى يبتعد عن الشرك.

٤-إنَّ أيّ ظاهرة أو قانون يعيق التطوّر والتقدّم،

(١) الكتاب والقرآن:٤٩٦.

فعلى المسلم أنْ يكافحها بشدة ويحنف عنهما، فلا ثوابت في المجتمعات وفي الدول وفي القانون وفي السياسة؛ لأنه حين نثبت فإننا نقع في الشرك والظلم.

فممّا سبق يتضح لنا التأويل الباطنيّ للدكتور شحرور لمصطلح (الشّرْك) عندما فسّره بمعنى: (الثبات في هذا الكون المتحرّك)، وأضاف إلى ذلك: أنّ من مظاهر الشرك الخفيّ: سكونيّة الفكر والفقه والتفسير، وما إلى ذلك.

ولو رجعنا إلى لغة العرب، وعلوم الشريعة لوجدنا أنّ هذا التأويل الباطنيّ لـ (الشرك) مخالف لهما جميعاً.

فـ (الشرك) في اللغة له أصلان في المعنى، الأول: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر: يدل على امتداد واستقامة[1]، أي: إنّ أصل المعنى الكليّ لـ (الشرْك): المقارنة وعدم الانفراد والامتداد والاستقامة، فليس فيه معنى (الثبات) الذي ذكره الدكتور شحرور؛ ممّا يدلّ على مخالفته للغة العرب.

أمّا مفهومه في الشريعة فقد عرّف تعريفات عديدة، منها: تعريف الإمام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ) بأنّ: « أصل الشرك أنْ تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنّه لم يعدلْ أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره، أو توكّل عليه فهو مشرك»[2]، وعرّفه أيضاً، بأنه: « أنْ يدعو مع الله إلهاً آخر؛ إما الشمس وإما القمر أو الكواكب؛ أو ملكاً من الملائكة أو نبياً من الأنبياء؛ أو رجلاً من الصالحين أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك ممّا يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله»[3].

وبعد ذلك كلّه «لم يجد د. شحرور حرجاً هذه المرّة من عدم الاستدلال باللسان العربي على أنّ الشرك يعني: الثبات - بزعمه -، كما أنه لم يحلّل الكلمة لغويّاً، ويأتي[4] بجذر لها كعادته، واكتفى بهذه القرارات العقديّة الخطيرة وغير المسبوقة: أنَّ الثبات يعني: الشرك، والسبب معروف، وهو أنَّ هذا الرأي لا دليل عليه من اللغة ولا من العقل ولا من النقل، وهو محاولة باطنيّة جديدة لتمرير الماركسيّة إلى ديار المسلمين»[5].

فممّا سبق يتضح لنا موقف الدكتور شحرور من تأويل آيات القرآن الكريم، وهو: تأويله الباطنيّ الماركسيّ للمصطلحات القرآنيّة المتمثّل بمصطلح (الشرك).

المطلب الثاني: التأويل المادّيّ الإلحاديّ للآيات القرآنيّة

للدكتور محمّد شحرور موقف آخر من تأويل آيات القرآن الكريم، وهو: التأويل المادّيّ الإلحاديّ

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ٣/ ٢٦٥(شرك).
(٢) الاستقامة:١/ ٣٤٤.
(٣) مجموع الفتاوى:٣/ ٤٢٤.
(٤) الصحيح: (لم يأتِ) بالكسرة؛ لأن الفعل مجزوم بحذف الياء.
(٥) التيار العَلمانّي الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم:٥٦٩.

لها، ومن ذلك: قوله بـ (قِدَم العالم وعدم حدوثه)، وهو ما يعدّ من أساسيّات العقيدة المادّيّة[١].

فقد قال في هذا الصدد:» إننا نتبنّى النظريّة العلميّة القائلة بأنّ ظهور الكون المادّيّ كان نتيجة انفجار هائل أدّى إلى تغيّر طبيعة المادّة، ونرى أنّ انفجاراً هائلاً آخر مماثلاً للانفجار الأول في حجمه سيؤدي حتماً إلى تغيّر طبيعة المادّة وهلاك هذا الكون المادّيّ ليحلّ محلّه كون (عالم) مادّيّ آخر، ويعني ذلك: أنّ هذا الكون لم ينشأ (يُخلق) من عدم بل من مادّة ذات طبيعة أخرى كما أنَ هذا الكون سيزول ليحلّ مكانه كون آخر من مادّة ذات طبيعة متغايرة». ويستأنف قائلاً: «ويجب أن نميّز في خلق الوجود ثلاثة أفعال مختلفة:

-(خَلَقَ السموات والأرض)[٢].

-(بديعُ السموات والأرض)[٣].

-(فاطرِ السموات والأرض)[٤].

فالخلق هو التصميم، ولكن يمكن أن يكون التصميم لشيء له سابقة، أي يمكن لمهندس أن يصمّم بيتاً قد سبقه إليه أحد وله سابقة، ولكي يبيّن أنّ خلق السموات والأرض ليس له سابق، وأنه لأول مرّة قال: (بديعُ السموات والأرض)، ولكي يبيّن سبحانه وتعالى أنّ تصميم السموات والأرض وإبداعهما غير قديمينِ، وأنهما كانتا معاً ثمّ انفصلتا عن بعضهما قال:(فاطرِ السموات والأرض)، وقد أكّد أنّ هذا الفصل حصل بانفجار»[٥].

وبعد قراءة هذا الكلام للدكتور شحرور، والتمعّن فيه نستخلص منه ما يأتي:

١- إنَّ ظهور الكون المادّيّ كان نتيجة انفجار هائل أدّى إلى تغيّر طبيعة المادّة، وإنّ انفجاراً آخر سيؤدي إلى تغيّر طبيعة المادّة، وهلاك الكون المادّيّ ليحلّ محلّه عالم مادّيّ آخر، إي: إنّ الكون لم يُخلق من عدم بل من مادّة ذات طبيعة أخرى، وأنّ الكون سيزول ليحلّ مكانه كون آخر من مادّة ذات طبيعة متغايرة.

٢- أفعال خلق الوجود ثلاثة:

-(الخلْق) ومعناه في قوله تعالى:(خَلَقَ السموات والأرض): هو التصميم لشيء له سابقة، أي: يوجد شيء سابق للتصميم.

-(الإبداع) ومعناه في قوله تعالى:(بديعُ السموات والأرض): أنّ خلق السموات والأرض ليس له شيء سابق له، وأنه موجود لأول مرّة.

-(الفَطر) ومعناه في قوله تعالى: (فاطرِ السموات والأرض): أنّ تصميم السموات والأرض وإبداعهما غير قديمينِ، وأنهما كانتا معاً ثمّ انفصلتا عن بعضهما، وأنّ الفصل حصل بانفجار.

ولو استوعبنا ما يقصده الدكتور شحرور من هذا المستخلص لوجدنا أنَّ له مقاصد يعنيها، ومراميَ يرتئيها، ومن تلك المقاصد والمرامي: إخضاع النصوص القرآنيّة للتأويل المادّيّ الإلحاديّ الذي زعمه المادّيون الإلحاديّون.

(١) ينظر: الكتاب والقرآن:٥٧١.
(٢) سورة الأنعام:١.
(٣) سورة البقرة:١١٧.
(٤) سورة الأنعام:١٤.
(٥) الكتاب والقرآن :٢٣٥.

فهو عندما يقرّر: أنّ الكون لم يُخلق من عدم بل من مادّة ذات طبيعة أخرى، وأنّ الخلق (التصميم) يوجد شيء سابق له، وأنّ خلق السموات والأرض ليس له شيء سابق له، وأنه موجود لأول مرّة، وأنّهما كانتا معاً ثمّ انفصلتا عن طريق انفجار، إلى غير ذلك ممّا قرّره هنا، فهو يعدّ من أصول الفكر المادّيّ الإلحاديّ ومزاعمه.

فمن أصول الفكر المادّيّ الإلحاديّ ومزاعمه: أنّ «الوجود كلّه منحصر في الكون المادّيّ الخاضع للإدراك الحسّيّ»، وأنّ «المادّة الأولى للكون مادّة عديمة الحياة، عديمة الإدراك، عديمة الفكر، عديمة الإحساس، وأنها بالتطوّر الذاتيّ ارتقت صفاتها حتى وصل الكون إلى ماهو عليه الآن»، وأنّ «المادّة الأولى للكون أزليّة، فهي إذن أبديّة»، وأنه: «لا توجد علّة للكون، والطبيعة بنظامها التامّ خرجت من العماء الصرف، أي: العدم الكليّ»، وأنّ « الحياة ظهرت في الكون المادّيّ نتيجة المصادفة، دون خطّة سابقة من عليم حكيم، ودون قضاء وقدر من مريد مختار، ودون قدرة خالقة من خالق قدير»، وأنّ «الحياة ثمرة تفاعلات المادّة الناتجة عن حركتها الذاتيّة، فهي أثر تركيب معقّد للمادّة»[1]، وما إلى ذلك ممّا يعدّ من أصول هذا الفكر ومزاعمه.

فلو أجرينا مقارنة ومقابلة بين هذه الأصول، وما قرّره هنا الدكتور شحرور لوجدنا أنهما متطابقان تمام التطابق، ومتفقان كلّ الاتفاق، وهذا يجعلنا نقرّر: أنّ الدكتور شحروراً يخضع ويتبنى الفكر المادّيّ الإلحاديّ في تأويل النصوص القرآنيّة، وينصر هذا الفكر ويؤيده في هذا المجال، وذلك يشكّل موقفاً له من تأويل آيات القرآن الكريم، وهو: التأويل المادّيّ الإلحاديّ لها، والمتمثّل بـ (قِدَم العالم وعدم حدوثه).

❋ ❋ ❋

الخاتمة

تتلخص أهمّ النتائج التي توصّلتْ إليها الدراسة بالآتي:

١-يعدّ البحث في قراءة النصّ القرآنيّ عند الحَداثيّين من الضرورات البارزة في الدراسات الشرعيّة والقرآنيّة، ويعدّ أيضاً ميداناً للكشف عن مكانة الشريعة الإسلاميّة في مواجهة التحديات المعاصرة، ومنها: تحديات الحداثة، وإعادة قراءة النصّ القرآنيّ.

٢-تتضح أهميّة الدراسة في تقييم موقف الدكتور محمّد شحرور من تفسير القرآن بالرأي؛ لتكون نقاطاً مضيئة؛ للانطلاق منها لمواجهة التحديات.

٣-للدكتور محمد شحرور موقف من تفسير الألفاظ القرآنيّة، وهو: عدم الالتزام بدلالتها اللغويّة (المعجميّة)، والتزييف والتدليس في دلالتها ومعانيها، وتنزيلها على مصطلحات حادثة، كالمصطلحات الفلسفيّة الغربيّة الماركسيّة والشيوعيّة المتعلّقة بنظرية (صراع المتناقضات) الباطلة.

(١) كواشف زيوف:٥١١-٥١٣.

٤- رأيه بأنّ تفسير (سبحان الله): (تنزيه لله عن النقائض والعيوب) وأنه: قول قد مضى زمانه هو رأي مرفوض؛ لأنه لا يستند إلى أدلة علميّة مقبولة.

٥-للدكتور محمد شحرور موقف من تفسير الجمل والأساليب القرآنيّة، وهو: الخطأ المتعمَّد في تفسيرها، وعدم الالتزام بقواعد اللغة والنحو والصرف في فهمها وتفسيرها.

٦- للدكتور محمّد شحرور موقف من تأويل آيات القرآن الكريم، وهو: التأويل الباطنيّ الماركسيّ للمصطلحات القرآنيّة، والتأويل المادّيّ الإلحاديّ لها، وهو ما يعدّ من أساسيّات العقيدة المادّيّة؛ لذلك فهو يتبنى هذا الفكر وينصره ويؤيده.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

١-الاستقامة، الحرّاني، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تح: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد ابن سعود - المدينة المنورة، ط:١، ١٤٠٣.

٢- التحرير والتنوير، التونسيّ: محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، (١٩٨٤ هـ).

٣-التحريف المعاصر في الدين، الميدانيّ، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط:١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

٤-تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين، الخالديّ، الدكتور صلاح عبد الفتاح، دار القلم، دمشق، ط:٣، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

٥- التفسير والمفسرون، الذهبيّ، الدكتور محمّد حسين، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٦- التيار العَلمانيّ الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم - عرض ونقد، الشافعيّ، منى محمّد بهي الدين، دار اليسر، القاهرة، ط:١، ١٤٢٩هـ.

٧-الجنى الداني في حروف المعاني، المراديّ، أبو محمد حسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ)، تح: د فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١،(١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م).

٨-القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٨، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

٩-القراءة المعاصرة للقرآن، لمحمّد شحرور (١-٤) باعث الاجتهاد: تجاوزاً وتأسيساً، محمد كنفودي، مركز تفسير للدراسات القرآنيّة (د.ط)، (د.ت).

١٠-كتاب العين، الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١١-الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة، الدكتور محمّد شحرور، الأهالي، سورية - دمشق، (د.ط)، (د.ت).

١٢-كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، الميدانيّ، عبد الرحمن حسن حبنّكة، دار القلم، دمشق، ط:٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

١٣-لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، الأنصاري الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط:٣، (١٤١٤ هـ).

١٤-ما بعد الحدثة - دراسة في المشروع الثقافيّ الغربيّ، خريسان، الدكتور باسم علي، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).

١٥-مجموع الفتاوى، الحرانيّ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

١٦- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط:١،(١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

١٧- معجم مقاييس اللغة، القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٨- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازيّ، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، (١٤٢٠ هـ).

١٩- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني الراغب، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط:١، (١٤١٢ هـ).

ثانياً: البحوث:

-القراءة الحداثية للنصّ القرآني: دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، فاطمة الزهراء الناصري.

https://tafsir.net/article/5217

ثالثاً: المواقع الالكترونية:

1 - https://ar.wikipedia.org/wiki

2 - https://shahrour.org/?page_id=2

١- كيف يحرّف محمد شحرور القرآن؟ شريف محمد جابر:

https://www.aljazeera.net/blogs/12/6/2017